مقال للأب متى المسكين

عيد التجلِّي[1]

✿✚✿

عيد التجلّي هو من الأعياد العظيمة في حياة الرب وفي عقيدة الكنيسة. ولكن للأسف لم يُعطَ لهذا العيد قدره الروحي والطقسي كما ينبغي. فبينما نجد عيد الغطاس له وضعه الطقسي والتقليدي العالي، نجد مثيله وهو عيد التجلّي له صورة ضعيفة، حتى يُعبَّر عنه بأنه عيد صغير؛ مع أن العيدَين، في الحقيقة، مرتبطان بفكرٍ إنجيلي واحد.

فنحن عندما نقرأ إنجيل عيد الغطاس وإنجيل عيد التجلي، نجد نفس الجملة أو الآية الأساسية هنا وهناك، وهذا يعني أن الإنجيل أو الروح يريد أن يُنبِّهنا إلى مدى العلاقة القوية ما بين هذين العيدَين.

ففي عيد الغطاس نقرأ: «فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللَّهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلًا: **"هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ"**» (مت ٣: ١٦-١٧).

نفس القول نسمعه في إنجيل التجلّي إذ يقول «وَصَارَ صَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلًا: **هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ اسْمَعُوا**» (مت ١٧: ٥؛ مر ٩: ٧؛ لو ٩: ٣٤).

فالملابسات التي نجدها في العماد هي نفسها في التجلّي. وهذا يُبيِّن لنا القصد من التجلّي، أنه لم يكن حادثة عَرَضية في حياة المخلِّص؛ ولكنه تثبيتٌ وإعلان أو شهادة لشخص الرب يسوع المسيح.

ليس التجلّي مجرَّد معجزة أو عمل عمله الرب، هذا يُضعِف مفهوم التجلّي جدًّا، ولكنه استعلان. هو عيدٌ ذو قيمةٍ وأصالة في استعلان شخص الرب على مدى حوادث الخلاص التي تمَّت من ميلاده وحتى صعوده.

---

(١) كلمة للأب متى المسكين للآباء الرهبان في عشية عيد التجلّي ١٩ أغسطس ١٩٧٥

فالآية: «**هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ**»، تكرَّرت هي نفسها في العماد. وكما انفتحت السماء في العماد؛ هكذا هنا أيضًا صوتٌ آتٍ من السموات، كما قال بطرس الرسول: «لأَنَّنَا لَمْ نَتْبَعْ خُرَافَاتٍ مُصَنَّعَةً إِذْ عَرَّفْنَاكُمْ بِقُوَّةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَمَجِيئِهِ، بَلْ قَدْ كُنَّا مُعَايِنِينَ عَظَمَتَهُ. لأَنَّهُ أَخَذَ مِنَ اللَّهِ الآبِ كَرَامَةً وَمَجْدًا، إِذْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ صَوْتٌ كَهَذَا **مِنَ الْمَجْدِ الأَسْنَى**: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي أَنَا سُرِرْتُ بِهِ"». (٢بط ١: ١٦-١٧)، فهذا إعلانٌ عن بنَّوة المسيح من جهة، ومن جهةٍ أخرى: "له اسمعوا" لها مدلول إعطائه السلطان الإلهي الذي هو سلطان الآب.

النقطة الثانية التي تهمُّنا في إنجيل هذا العيد، هي ظهور موسى وإيليا: «وَظَهَرَ لَهُمْ إِيلِيَّا مَعَ مُوسَى، وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ مَعَ يَسُوعَ» (مر ٩: ٤). فظهور هذين الاثنين بالذات لم يكن عَرَضًا، بل جاء ليكشف عن شخصية المسيح. موسى يُمثِّل الناموس، وإيليا يُمثِّل النبوَّة. فظهور الاثنين معًا، وبالمجد: «ظَهَرَا بِمَجْدٍ» (لو ٩: ١١)، يُظهِر خضوع الناموس وخضوع النبوَّة لشخص الرب. فهنا استعلانٌ لشخصية المسيح كربِّ الناموس وكغاية النبوَّة. ظهور موسى معناه أنه يُسلِّم كل الناموس لصاحبه، كما قال بولس الرسول: «لأَنَّ غَايَةَ النَّامُوسِ هِيَ: الْمَسِيحُ لِلْبِرِّ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ» (رو ١٠: ٤). وظهور إيليا يعني أنه يُسلِّم كل النبوَّة لشخص الرب يسوع المسيح. ففي الواقع ظهورهما معًا ليس مصادفة، ولكنه توافق عجيب لكشف وإعلان شخص الرب.

كذلك أيضًا لا يمكننا أن نعبرُ على موسى وإيليا عبورًا بسيطًا! تعرفون أن موسى كان يتكلَّم مع الله على جبل سيناء، وإيليا تكلَّم مع الله على جبل حوريب، وهذا يعني أن حديثهما مع الله كان على قمة جبل، فكون الاثنان يتكلَّمان من على قمة جبل مع المسيح، يكشف بنوعٍ من السِّرية اللطيفة واللذيذة جدًّا أن هذا الاجتماع كان في حضرة الله.

في سفر ملاخي، آخر سفر في العهد القديم، يقول: «اذْكُرُوا شَرِيعَةَ مُوسَى عَبْدِي الَّتِي أَمَرْتُهُ بِهَا فِي حُورِيبَ عَلَى كُلِّ إِسْرَائِيلَ. الْفَرَائِضَ وَالأَحْكَامَ. هَأَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ، فَيَرُدُّ قَلْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ، وَقَلْبَ الأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ. لِئَلاَّ آتِيَ وَأَضْرِبَ الأَرْضَ بِلَعْنٍ». (ملا ٤: ٤-٦). وهكذا انتهى العهد القديم بهاتين الآيتين: «اذْكُرُوا شَرِيعَةَ مُوسَى عَبْدِي»، «هَأَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا»، فهكذا يكون أول استعلان بوضوح لشخص المسيح في التجلِّي يتم بواسطة شخصَي موسى وإيليا! وهنا

إشارة مبدعة إلى التحام العهد القديم بالعهد الجديد، أو اكتمال القديم في الجديد، كما قال المسيح: «مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ» (مت ٥: ١٧). جاء المسيح ليُكمِّل كل ما قيل في العهد القديم.

لاحظ أن نفس العبارة التي سُمعت من السماء بشهود: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. **لَهُ اسْمَعُوا**»، هي هي نفسها التي قيلت عن النبي الآتي، عن المسيَّا الذي تكلَّم عنه موسى في سِفْر التثنية (١٨: ١٤، ١٥): «يُقِيمُ لكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي **لهُ تَسْمَعُونَ**». لاحظ التشابه اللفظي بين "**له اسمعوا**"، و"**له تسمعون**". إنه يريد أن يُنبِّه ذهن بطرس ويعقوب ويوحنا، ومن بعدهم بقية التلاميذ ثم الكنيسة كلها على مدى العصور إلى أنه هو "النبي الآتي" الذي وعد به الله.

«وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا سَحَابَةٌ نَيِّرَةٌ ظَلَّلَتْهُمْ» (مت ١٧:٥). دائمًا يتراءى الرب في السحاب، يقول المزمور: «طَأْطَأَ السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ، وَضَبَابٌ تَحْتَ رِجْلَيْهِ. رَكِبَ عَلَى كَرُوبٍ وَطَارَ، وَهَفَّ عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيَاحِ» (مز ١٨: ٩، ١٠). وفي سفر دانيال يقول: «كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ» (دا ٧: ١٣). والمسيح صعد في السحاب: «وَلَمَّا قَالَ هَذَا ارْتَفَعَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَأَخَذَتْهُ سَحَابَةٌ عَنْ أَعْيُنِهِمْ» (أع ١: ٩). وسيأتي أيضًا في السحاب: «إِنَّ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هَكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ» (أع ١: ١١). إذًا، ظهور الرب في السحاب في التجلّي كان أحد الاستعلانات التي تُشير إلى شخص الرب أنه هو المسيَّا، لكي ينتبه التلاميذ ولكي تنتبه الكنيسة على مدى العصور.

«وَظَهَرَ لَهُمْ إِيلِيَّا مَعَ مُوسَى، وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ مَعَ يَسُوعَ»، ما هو هذا الكلام الذي قاله موسى وإيليا مع الرب؟ لم يستطع بطرس أن يسترجعه، لأنه نام، وأظنُّ أن الثلاثة ناموا: «وَأَمَّا بُطْرُسُ وَاللَّذَانِ مَعَهُ فَكَانُوا قَدْ تَثَقَّلُوا بِالنَّوْمِ» (لو ٩: ٣٢). يا للخسارة! «فَلَمَّا اسْتَيْقَظُوا رَأَوْا مَجْدَهُ، وَالرَّجُلَيْنِ الْوَاقِفَيْنِ مَعَهُ» (لو ٩: ٣٢). يا ليتهم لم يناموا، ربما كانوا نقلوا لنا أشياء جميلة وكلمات نافعة، إنما الذي استطاعوا أن يلتقطوه هو أواخر الكلمات التي سمعوها: «تَكَلَّمَا عَنْ خُرُوجِهِ الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يُكَمِّلَهُ فِي أُورُشَلِيمَ». لقد كانوا يتكلَّمون عن الخروج. الخروج يعني سِفْرًا بأكمله، يعني الفصح، يعني التحرُّر من مصر الخطية، يعني الخلاص من فرعون المُذل لشعب الله، يعني عبور البحر الأحمر، يعني

دخول في البرية والوصول إلى كنعان. الخروج يعني الصليب والموت والقبر والقيامة والصعود. فعيد التجلِّي يُعتَبَر محور ارتكاز يحوي استعلانًا كاملًا دقيقًا مستوفيًا لشخص الرب يسوع المسيح والخلاص الذي أكمله.

يا لمجد هذا العيد! يا لسمو التجلِّي! ويا لقِلَّة ما قدَّمت الكنيسة له من تسابيح وألحان! بل والأقل من هذا ما يُقدِّمه شعبها وأولادها من اهتمام وانفعال وانفتاح قلب لتقبُّل حوادث هذا العيد. فحوادث هذا العيد تجمع ما بين أعماق العهد القديم من سِفْر التثنية حتى سِفْر ملاخي، وكذلك من الإشارات المُبدعة كالسحابة.

أنا أوقظ ذهنكم النقي، كما يقول بطرس الرسول، لكي ما تلتفتوا إلى عمق خلاصكم المذخر لكم في الكنيسة وفي أعيادها، لتشبعوا كما ينبغي أن يكون الشبع، وتجمعوا من الكلمات القليلة حياةً ونورًا للطريق، وتربطوا ما بين حوادث الإنجيل وتعبيراته المقولة في ألفاظٍ قليلة: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا». إذ تجمعون منها شيئًا عجيبًا وعميقًا جدًّا، يحوي كل استعلانٍ لائق لشخص الرب يسوع المسيح؛ حتى تستطيعوا أن تدخلوا إلى كنوز الآب السماوي لتشبعوا وترتووا وترووا الآخرين أيضًا. ولربنا المجد في كنيسته من الآن وإلى الأبد، آمين.

❀+❀+❀+❀+❀+❀+❀+❀+❀❀+❀+❀+❀+❀+❀+❀+❀+❀+❀+❀+❀+❀+❀+❀+❀

وأيضًا مما كتبه الأب متى المسكين عن التجلِّي:

العهد الجديد مليء بحالات تجلِّي للجسد، المسيح بدأ هذا العمل الأخروي في نفسه، في جسده الذي أخذه منَّا، وذلك على جبل التجلِّي مع بطرس ويوحنا ويعقوب، إذ جعله يُضيء أمامهم بلمعان أكثر من الشمس كباكورة ونموذج لِمَا ستصير عليه أجسادنا حينما يكمل فداؤها؛ ومن ذلك الحين والبشرية كلها بل والخليقة تئنُّ وتتمخَّض معًا تنتظر التبني فداء أجسادنا ... المسيح منذ يوم التجلِّي وهو لا يكف عن أن يسكب نوره على أجساد ووجوه قديسيه. برية شيهيت تشهد بذلك وقد نالها النصيب الأوفر في تقبُّل النور السمائي:

القديس العظيم أنبا مقار شهد له سبعة آباء عظام أنهم رأوه مضيئًا داخل قلايته في ظلام الليل.

(عن مقال صعود جسد العذراء مريم وتجلِّي الأجساد).